جهود مرزوق العمري في التعريف بعلماء الجزائر من خلال كتابه «العقيدة والفكر»

هاجر فرزولي | جامعة الحاج لخضر (باتنة1).
hadjerfarzouli2001@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/06/23 تاريخ القبول: 2024/09/14 تاريخ النشر: 2024/09/20

ملخص:

ذخرت الجزائر بالعديد من العلماء: كأحمد النقاوسي، عبد الرحمان الثعالبي، محمد السنوسي، الإمام السنوسي ... والقائمة تطول، وكل منهم أسهم بموسوعيته الفكرية في خدمة العلوم الإسلامية في شتى المجالات: التصوّف، الكلام، الأدب، المنطق ...، لكنّ تراثهم إذا ما قُورِن بخِلّانهم من الأمصار الأخرى، فإنه لم يحظ بالتحقيق والإشادة الكافين لأسباب عديدة، منها: سلسلة الاستعمارات التي مرّت بها الجزائر، وسرقة مخطوطاتهم، والعديد من الأسباب الأخرى التي لا يسعنا المقام لذكرها.

لكنّ المتأخّرين من الجزائريين انتبهوا لهذا التهميش الذي طال أعلام الجزائر، فكتب عادل نويهض «**معجم أعلام الجزائر**»، وعرّف أبو القاسم سعد الله في كتابه «**تاريخ الجزائر الثقافي**» بالكثير منهم، وكان من المعاصرين على خطاه مرزوق العمري في كتابه «**العقيدة والفكر: دراسات في الفكر العقدي عند العلماء الجزائريين**»، الذي تناول فيه ثمان شخصيات من أهم أعلام الفكر العقدي بالجزائر.

الكلمات المفتاحية: مرزوق العمري، العقيدة والفكر، تراث، علماء الجزائر.

Marzouq Al-Omari's efforts to introduce Algerian scholars through his book "Doctrine and Thought"

Abstract:

Algeria has been rich with many scholars: such as Ahmed Al-Naqousi, Abdel Rahman Al-Thaalibi, Muhammad Al-Sanusi, Imam Al-Sanusi... and the list goes on, and each of them contributed with his intellectual encyclopedia in serving Islamic sciences in various fields: Sufism, theology, literature, logic..., but their heritage, when compared to their friends from other countries, did not receive adequate investigation and praise for many reasons: the series of colonizations that Algeria went through, the theft of their manuscripts and many other reasons that we do not have the space to mention. But the late Algerians noticed this marginalization that affected the Algerian scholars, so Adel Noueihed wrote "Dictionary of Algerian Scholars" and Abu Al-Qasim Saadallah mentioned many of them in his book "The Cultural History of Algeria". Among his contemporaries was Marzouq Al-Omari in his book "Doctrine and Thought: Studies in Doctrinal Thought among Algerian Scholars" in which he discussed eight of the most important figures in doctrinal thought in Algeria. So who is Marzouq Al-Omari? And who are the scholars included in his research? What aspects did he address in their thinking?

Keywords*: Marzouq Al-Omari, belief and thought, heritage, Algerian scholars.*

مقدّمة

لم يلق التراث الإسلامي الجزائري العناية الكافية، فلم يحظ لا بالدراسة ولا بالتحقيق، وبقي صنّاعُه مجهولين، حتى ساد الاعتقاد أنّ الجزائر لم تنجب علماء، والحقيقية والواقع عكس ذلك تمامًا، وفي هذا الصّدد كان يقول أبو القاسم الحفناوي في مقدّمة كتابه «تعريف الخلف برجال السّلف»: «والظّاهر أنّ القطر الجزائري قد اجتهد قديما في طلب العلم بجميع أسبابه، وأتاه من سائر أبوابه، فوقف على معقوله و منقوله، فتمكّن من أصوله وفصوله، فكان لعلوم وقته جامعًا، ولراياتها رافعًا، مثل أخويه المغربين الأقصى والأدنى، فظهر في الأقاليم بدرُه، واشتهر في التاريخ قدرُه، بعلماء بنوا تأليفهم على أصول التحقيق، وحصّنوها بأساور التدقيق، فكانوا في عصرهم نجوم اهتداء، وأئمة اقتداء، ولكن طواهم وأضرابهم فلكُ الانقلاب في مغارب الأفول، فذهبوا ولسان حالهم يقول:

تلك آثارنا تدلّ علينا ❊❊❊ فانظروا بعدنا إلى الآثار»[1].

إلّا أنّه برز الكثير من الجزائريين المعاصرين، الذين ساهموا بأبحاثهم في إحياء تراث علماء الجزائر، على غرار محمد صالح صديق، المهدي البوعبدلي، رابح بونار، مرزوق العمري، وغيرهم.

الإشكالية:

خصّصنا هاته الدراسة لتسليط الضوء على أحد جهود هؤلاء، ألا وهو مرزوق العمري، من خلال كتابه: «**العقيدة والفكر: دراسات في الفكر العقدي عند العلماء الجزائريين**». ومن هنا يتبدّى لنا إشكال معرفي نصوغه كالآتي:

من هو مرزوق العمري؟ ومن هم العلماء الذين شملهم جهدُه التعريفي والإحيائي؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هاته الدراسة في كونها تقف على نموذج من جهود الباحثين المعاصرين المشتغلين بالتراث الجزائري، ولفت الانتباه إليه، في وقت عزّ فيه إنصاف المعاصرين من الأحياء على وجه الخصوص.

(1) الحفناوي، محمد أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر: سلسلة الأنيس للعلوم الإنسانية، 1991م: 1/1.

أهداف الدراسة:

تهدف هاته الدراسة إلى:

1. التعريف بمرزوق العمري، وكتابه «العقيدة والفكر»، في كونه نموذجا من الباحثين المعاصرين الذين اهتموا بالتراث الجزائري.
2. التعريف بإسهامات علماء القطر الجزائري في خدمة التراث الإسلامي، والإسهام في إثرائه.

منهج الدراسة:

بناءً على المشكلة البحثية المدروسة؛ اعتمدنا المنهج الوصفي من خلال تتبع المعلومات وتجميعها، وقد أرفقناه بآلية التحليل، ليكون منهج الدراسة هو المنهج: الوصفي التحليلي.

الدراسات السابقة:

وقد اقتضى منّا هذا العودة إلى المصدر موضوع الدراسة بطبيعة الحال، ألا وهو كتاب «**العقيدة والفكر**»، بالإضافة إلى العودة إلى كلّ مشاركاته، ودروسه، ومحاضراته، وكتاباته. أمّا عن الدراسات التي تناولت هذا الموضوع؛ فإنّنا لم نعثر على دراسة تناولت جهود مرزوق العمري في التعريف بعلماء الجزائر، لا من قريب ولا من بعيد، فهذا الإسهام في مجال العقيدة لا يزال مجهولا.

خطة البحث:

جاء هذا البحث مقسّمًا إلى مقدمة، وثلاث مطالب، وخاتمة، كالآتي:

مقدمة: وعرضنا فيها أهمية الموضوع وأهدافه، والإشكالية المقصود معالجتها، وكلّ شروط الكتابة الأكاديمية.

المطلب الأول: وتطرّقنا فيه إلى التعريف بمرزوق العمري.

المطلب الثاني: وتطرقنا فيه إلى إسهامات مرزوق العمري في التعريف بعلماء الجزائر من خلال مشاركاته وبحوثه.

المطلب الثالث: وتناولنا فيه إسهامات مرزوق العمري في التعريف بعلماء الجزائر من خلال كتابه «العقيدة والفكر»، وقد جاء هذا الأخير بفرعين:

الفرع الأول: وقدّمنا فيه معلومات عن الكتاب أو (الدراسة الخارجية للكتاب).

الفرع الثاني: وقد عرضنا فيه الشخصيات التي تطرّق إليها.

خاتمة: وتتضمّن أهمّ النتائج المتوصّل إليها.

المطلب الأول: التعريف بمرزوق العمري.

هو الأستاذ الدكتور مرزوق العمري، أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية بكلية العلوم الإسلامية جامعة الحاج لخضر (باتنة 1)، وهو من مواليد: 30/07/ 1968م، بـ«تاجنانت»، ولاية ميلة - الجزائر.

- حائز على شهادة البكالوريا في الأدب العربي، دورة جوان، سنة1987م، من ثانوية «محمّدالصديق بن يحي»، بـ«شلغوم العيد»، ولاية ميلة- الجزائر.

- حائز على شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية، شعبة العقيدة، من جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة- الجزائر-، دورة جوان سنة1991م.

- حائز على شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، شعبة العقيدة، من جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة - الجزائر-، سنة 1998م.

- حائز على شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، شعبة العقيدة، من جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة- الجزائر، سنة 2006م.

درّس الأستاذ الكثير من المقاييس مثل: العقيدة، المنطق، الفلسفة الإسلامية، الفرق الإسلامية، علم الكلام، الفكر العقدي، التأويلات الحداثية للتراث، القرآن الكريم في الدراسات الحداثية ...، كما أشرف على الكثير من الرسائل الجامعية، والمناقشات العلمية، تزيد عن أكثر من ستين أطروحة، بين مذكرات الماستر والدكتوراه، كما نشر أزيد من ثلاثين مقالا، نشرت في عدّة مجلّات محكّمة، تنوّعت ما بين إحياء تراث علماء الجزائر، ومناقشة أطروحات الحداثيين، بالإضافة إلى مشاركاته العلمية في الملتقيات الدولية والوطنية، كما أنه يشتغل عضو هيئة تحرير في الكثير من المجلّات المحكّمة، كمجلّة المحراب، ومجلّة التواصل، مجلّة الإحياء، وغيرها.

وللأستاذ العديد من المؤلفات العلمية، أهمّها:

1. نظرية الكسب عند الأشاعرة، نُشر بدار الكتب العلمية، بيروت، 2009م.
2. إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي العربي المعاصر، طبع بمنشورات الاختلاف بالجزائر، وبالاشتراك مع منشورات ضفاف في بيروت، ودار الأمان في الرباط، سنة 2012م.

3. إسهام في كتاب جماعي بعنوان: آفاق الانفتاح على مشروع طه عبد الرحمن، منشورات دار المعرفة، المملكة المغربية، سنة 2019م.

4. تحفة الأخيار فيما يتعلّق بالكسب والاختيار، تأليف الشيخ عبد القادر المجاوي، تحقيق وتعليق، مخطوط.

5. العقيدة والفكر: دراسات في الفكر العقدي عند العلماء الجزائريين، طبع بالمجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر، سنة 2018م.

6. إسهام في كتاب جماعي بعنوان: أبو القاسم سعد الله بعيون مختلفة. صدر عن دار عالم المعرفة، الجزائر، 2014م.

7. إسهام في كتاب جماعي بعنوان: مؤسّسة المسجد بين التأميم والتحرير، صدر عن مجلة منار الهدى، المملكة المغربية، 2014م.

8. القواعد الكلامية، تأليف الشيخ عبد القادر المجاوي، تحقيق وتعليق، مخطوط.

9. مقالات أحمد الغوالمي -جمع وتقديم- مخطوط[1].

10. عقيدة أبي مدين الغوث متنا ونظما وشرحا -دراسة وتحقيق وتعليق- مخطوط[2].

المطلب الثاني: إسهامات مرزوق العمري في التعريف بعلماء الجزائر من خلال مشاركاته وبحوثه.

يظهر اهتمام الدكتور مرزوق العمري من خلال مشاركاته في كلّ من الملتقيات الدولية والوطنية، التي كان يكتب فيها وفق المنهج العلمي الأكاديمي للمدرسة التاريخية الجزائرية بالأسلوب الواضح، فقد شارك مثلا في:

- الملتقى الدولي الموسوم بـ «أصالة الفكر الأشعري وأثره على التماسك الاجتماعي»، المنعقد بتاريخ 5-6 ديسمبر 2018م، بولاية برج بوعريريج، بمحاضرة عنوانها: «الأشعرية في الجزائر: تاريخ

(1) مقابلة مع مزوق العمري، بتاريخ: 2023/01/15، السادسة مساء.

(2) مرزوق العمري، أبو مدين الغوث ورسالته في العقيدة الشهيرة بـ«عقيدة سيدي أبي مدين»، مجلة الإبانة، العدد الرابع، 2017م.

وأعلام»، تطرّق فيها إلى تاريخ وصول الأشعرية للجزائر، وأهمّ أعلامها الجزائريين، فعرَّف بكلٍّ من: الإمام السنوسي، وأبي مدين الغوث، وأحمد بن قاسم البوني[1]، وأهمّ موروثاتهم العلمية.

- كما شارك في الملتقى الدولي الموسوم بـ «الشيخ ابن التبّاني والمدرسة الأشعرية في العقائد»، المنعقد بتاريخ 12 ديسمبر 2021م، بجامعة محمد البشير الإبراهيمي، ولاية برج بوعريريج-، بمحاضرة عنوانها: «الأشعرية عامل أمن فكري وثقافي».

وقد تطرّق في الجزء الثاني منها إلى بيان إسهامات العلماء الجزائريين في التراث العقدي الأشعري، مركّزا على الإمام السنوسي[2].

كما يظهر هذا الاهتمام في تحقيق المخطوطات، فقد تمكّن من تحقيق بعضها:

- فحقّق مخطوطا للشيخ عبد القادر المجاوي، بعنوان: «تحفة الأخيار فيما يتعلّق بالكسب والاختيار»[3]، وهي رسالة في العقيدة، تضمنت ستة فصول ومقدّمة وخاتمة.

كما حقّق كلّ من المخطوطات الآتية:

- عقيدة أبي مدين الغوث متنا ونظما وشرحا.
- والقواعد الكلامية للشيخ عبد القادر المجاوي.
- ومقالات أحمد الغوالمي[4].

يظهر هذا الاهتمام كذلك في إشرافه على العديد من الرسائل العلمية الجامعية مثل:

- «إسهامات علماء المغرب العربي في علم الكلام»، أطروحة دكتوراه مسجّلة بقسم أصول الدّين، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة- الجزائر.

---

(1) ينظر: مرزوق العمري، الأشعرية في الجزائر: تاريخ وأعلام، ضمن أعمال الملتقى الدولي: «الشيخ محمد العربي بن التباني: أصالة الفكر الأشعري وأثره على التماسك الاجتماعي»، صدر عن المجلس الإسلامي الأعلى،5-6 ديسمبر 2018م، الجزائر، ص7-8، وما بعدها.

(2) ينظر: مرزوق العمري، الأشعرية عامل أمن فكري وثقافي، ضمن أعمال الملتقى الدولي الثالث: «الشيخ محمد العربي بن التباني والمدرسة الأشعرية في العقائد»: ص119 وما بعدها.

(3) ينظر: عبد القادر المجاوي، تحفة الأخيار فيما يتعلق بالكسب والاختيار، تح: مرزوق العمري، الأردن: دار الأصليين.

(4) مقابلة مع مزوق العمري، بتاريخ: 2023/01/15، السادسة مساء.

- «شرح صغرى السنوسي للملالي: دراسة وتحقيق»، مذكرة ماستر سجّلت ونوقشت في قسم العلوم الإسلامية، جامعة باتنة- الجزائر.

- «الفكر العقدي عند الأمير عبد القادر الجزائري»، مذكرة ماستر سجّلت ونوقشت بقسم أصول الدّين، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة- الجزائر.

- «الشيخ طاهر الجزائري وإسهاماته في علم العقيدة»، مذكرة ماستر، نوقشت بقسم أصول الدّين، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة- الجزائر.

- «إسهامات مالك بن نبي في تجديد علم الكلام»، مذكرة ماستر، نوقشت بقسم أصول الدّين، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة- الجزائر.

- «التجديد في علم العقيدة عند ابن باديس»، أطروحة دكتوراه نوقشت بقسم العلوم الإسلامية، جامعة باتنة- الجزائر.

والعديد من الرسائل الأخرى التي لا يسع المقام لذكرها.

المطلب الثالث: إسهامات مرزوق العمري في التعريف بعلماء الجزائر من خلال كتابه «العقيدة والفكر».

الفرع الأوّل: معلومات الكتاب (الدراسة الخارجية للكتاب).

صدر كتابه هذا «العقيدة والفكر» عن المجلس الإسلامي الأعلى سنة 2018م، وقد تضمّن ثمان شخصيات بالدراسة، وهي:

- الإمام السنوسي وعقيدته الصّغرى «أمّ البراهين».
- يحي الشاوي المليانى وإسهاماته في علم العقيدة.
- الفكر العقدي عند المقري التلمساني.
- درس العقيدة عند الأمير عبد القادر الجزائري.
- الشيخ عبد القادر المجاوي وكتابه «القواعد الكلامية».
- الشيخ طاهر الجزائري ونظرته إلى تدريس العقيدة.
- الشيخ مبارك الميلي ومنهجه في إصلاح العقيدة.
- الشيخ محمد العربي التباني وكتابه «براءة الأشعريين».

مع مقدمة أشار الكاتب فيها إلى الدوافع التي جعلته يهتمّ بدراسة التراث الجزائري وهي: توجيه أستاذه له، الأستاذ **محمد عيسى زكريا**، فقد كانت هاته اللحظة بالنسبة له لحظة مؤثّرة في قراءته المتخصّصة، كما أنه يذكر استفادته من كتابي: «**تعريف الخلف برجال السلف**»، لأبي القاسم الحفناوي غول، وكتاب «**تاريخ الجزائر الثقافي**»، لأبي القاسم سعد الله.

الفرع الثاني: الشخصيات التي تطرّق إليها.

أولا: الإمام السنوسي(830هـ-895هـ)، وعقيدته الصغرى الشهيرة بـ «أم البراهين».

ابتدأ هاته الدراسة بمقدمة بيّن فيها أنّ جميع الأقطار الإسلامية ساهمت في خدمة المصادر المعرفية، مبيّنا أنّ «**أمّ البراهين**» متنا وشرحا تُعدّ من أهمّ المصادر الإسلامية في علم الكلام في زمانها، حيث ساهمت بشكل متميّز في خدمة الدّرس الكلامي، فدُرّست في معظم مساجد العالم الإسلامي. وكان الإقبال عليها، فقام المحقّقون بتحقيق هذا المخطوط مرّات عديدة، ووضعت حوله الكثير من الحواشي، ونُظِمت حوله الكثير من المنظومات، الأمر الذي جعل منها نصّا ظاهرة في عصره، وصار من أهمّ المصادر المقرّرة في الجوامع الإسلامية الكبرى مثل الأزهر والقرويين ...، ولذلك جديرٌ بهذا المصدر أن يحظى بالدراسة، وذلك لمسوّغات:

- مسوّغ معرفي يتمثّل في التعريف بأم البراهين.
- يشهد الدرس الكلامي في الراهن دعوات كثيرة إلى التجديد والإحياء، وهي عملية تستدعي استيعاب الماضي للانطلاق نحو المستقبل.
- التعريف بالمخطوط الجزائري، ليتسنّى لنا معرفة مدى إسهام القطر الجزائري في خدمة التراث الإسلامي وخدمة المعرفة بشكل عام.

ثمّ طرح الكاتب إشكالياته وهي: **من هو الإمام السنوسي؟ ماذا عن أم البراهين متنا وشرحا؟ ماهي المكانة التي تبوأها هذا المصدر بين المصادر الإسلامية؟ وفيما تتجلى هذه الأهمية وهذه المكانة؟**

أمّا عن الدراسات الرئيسة لهذا المقام فكانت:

- حاشية الدسوقي على شرح أمّ البراهين.

- الامام السنوسي وعلم التوحيد لجمال الدّين بوقلي حسن[1].

ثمّ عرّف بالإمام السنوسي، ونص أم البراهين.

1. التعريف بالإمام السنوسي:

هو أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، فاسمه محمد، وكنيته أبو عبد الله، الشهير بالسنوسي، وهي نسبة إلى القبيلة التي ينحدر منها، وهي قبيلة بني سنوس بالمغرب الأقصى، يقال: إنّه ولد سنة 830هـ[2].

وفي تلمسان نشأ في بيت علم وأدب، فكان والده أبو يعقوب شيخا صالحا، وتعلّم على يد ثلة من خيرة علماء تلمسان، منهم: نصر الزواوي، الإمام القطب الحسن أبركان، محمد بن القاسم بن تومرت، الذي أخذ عنه الفرائض والحساب، علي البسطي القلصادي، محمد بن العباس الذي أخذ عنه الأصول والمنطق، ومن علماء عصره عبد الرحمن الثعالبي، وأبي عبد الله المغيلي الجلّاب، إبراهيم اللنتي التازي الذي ألبسه خرقة التصوف[3].

وقد مات الشيخ يوم الأحد 895هـ، تاركا وراءه العديد من المؤلفات من بينها: عقيدة أهل التوحيد والتسديد الشهيرة بالعقيدة الكبرى، العقيدة الوسطى، العقيدة الصغرى الشهيرة بأم البراهين، صغرى الصغرى ... وغيرها.

2. أمّ البراهين متنا وشرحا:

المتن: أمّ البراهين متن في علم الكلام، وهو نص قصير جدّ مركّز احتوى على أهمّ المسائل الكلامية، وقد وضع في السياق السنّي الأشعري، وهذا المتن يقدّم مسائل العقيدة بشكل موجز ومبسّط، لأنّه برز في فترة صار جهد العلماء فيها مسخّرا للحفاظ على ما هو موجود، أكثر من إقبالهم على إنجاز عمل إبداعي.

---

(1) ينظر: مرزوق العمري، العقيدة والفكر دراسات في الفكر العقدي عند العلماء الجزائريين، د.ط، الجزائر: المجلس الإسلامي الأعلى، 2018م: ص9-10.

(2) أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر: سلسلة الأنيس للعلوم الإنسانية، 1991م: 207/1.

(3) ينظر: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، دراسة وتح: عبد القادر بوباية، ط1، الجزائر: مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 2011م: ص375.

أمّا عن مضمونه فقد اقتصر على باب الإلهيات، وباب النبوّات، مع وجود ملحق شرح فيه كلمة التوحيد.

افتتح السنوسي متنه بالحديث عن الحكم العقلي كحكم عقدي، وقسّمه إلى ثلاثة: الوجوب، الإمكان، الاستحالة، واستنادا إلى هذه الأحكام الثلاثة عرض عقيدة الألوهية، فأورد ما يجب وما يجوز وما يستحيل في حقّه تعالى.

أمّا الباب الثاني؛ فكان حول النبوّات، وتطرّق فيه إلى ما يجب وما يجوز وما يستحيل في حقّ الرّسل.

أمّا الجزء الثالث؛ فقد خصّصه لشرح كلمة التوحيد، وفيها عرّج على باب السمعيات.

شرح أم البراهين: جاء شرحه تفصيلا لما أجمل في المتن، فحينما ذكر ما يجب وما يجوز في حقه تعالى؛ عرّج على مسألة التقليد في العقيدة، وأنكر على المقلّد، وحينما أحصى في المتن صفات الله في عشرين صفةً؛ علّق في شرحه بأنّها لا تحصى[1]، ومن خلال شرحه لكلمة التوحيد عرّج على بعض المسائل الكلامية مثل: التحسين والقبيح العقليين، والصلاح والأصلح، والواجب العقلي.

3. مكانة أم البراهين بين المصادر الإسلامية:

أدركت أهمية هذا المصدر، واحتل مكانة مرموقة بين المصادر الإسلامية، وتجليات ذلك كثيرة مثل: التدريس، الشرح، الحواشي، النظم، الترجمة إلى اللغات الأجنبية ... إلخ.

أ. التدريس: دُرّست في المساجد والزوايا والمدارس الإسلامية في جميع الأقطار، وصارت بالإضافة إلى مؤلّفات السنوسي الأخرى، المصدر الرئيس في علم التوحيد في الجزائر، وصارت أمّ البراهين أهمّ نصّ يعتمد في الدرس الكلامي في الجزائر، وفي العديد من الأقطار الإسلامية.

ب.الشروح: كان الإقبال عليها بالشّرح ظاهرة في حد ذاتها، تكشف عن مكانة هذا المصدر بين المصادر الإسلامية، وهذا لأغراض عدة من بينها:

- الغرض التعليمي: بغرض تفهيم المتعلّم.

(1) ينظر: الإمام السنوسي، شرح أم البراهين في علم الكلام، تح: محمد الغماري، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989م: ص19.

- الغرض الديني الايماني: لأنّها تميّزت بالبساطة في العبارة، وبناء الأدلة والبراهين، وهي الوظيفة الأساسية لعلم الكلام.
- مطلب العامة: بناء على شهرة أمّ البراهين وما ترتّب من الحاجة العلمية إليها؛ كان بعض العامة وبعض طلبة العلم يطلبون من الشيوخ والعلماء شرحها.
- الهمة العلمية: مكانة هذا النص وأهميته جعلت الهمم العلمية لدى العلماء تتوق إلى الاعتناء به من جميع الوجوه، فقد وضعت حولها العديد من الشروحات.

ج. الحواشي: وضعت حواشي عديدة حول أم البراهين.

د. المنظومات: فقد تمّت بلورتها في منظومات كي يتيسّر حفظها وتعلّمها وتعليمها، كمنظومة المقري التلمساني: «**إضاءة الدجنة**»[1].

هـ. الترجمة: فقد ترجمت إلى اللغات الأجنبية، مثل الألمانية، من قِبَل الأستاذ «وولف»، وإلى الفرنسية من قِبَل «لوسياني».

خاتمة:

أمّ البراهين شرحا ومتنا من أهم نصوص العقيدة الإسلامية، وقد احتلت مكانة مرموقة بين مصادر علم الكلام.

ثانيا: يحي الشاوي المليانى (1030هـ-1096هـ) وإسهاماته في علم العقيدة.

1. مولده ونشأته:

يحي بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى أبو زكرياء الشاوي المليانى الجزائري المالكي[2]، وقد اختُلف في تاريخ ميلاده، فيورد معجم أعلام الجزائر أنه 1030هـ،أمّا أبو القاسم سعد الله فذكر أنّه لا يخرج عن أوائل القرن 11هـ، لكنه لم يورد له تاريخا محدّدًا. أمّا عن تاريخ وفاته فقد كان سنة

(1) ينظر: أحمد المقري، إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة، راجعه وعلّق عليه: أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري، د.ط، الجزائر: دار الفكر.

(2) ينظر: الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف: ص1؛ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ط2، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 1980م: ص186.

1096هـ. وقد تربّى في بيت علم وأدب، وأخذ التعليم من زاوية «أبهلول المجّاجي»، وقد تلقّى التعليم على يد ألمع علماء الجزائر مثل: علي بن عبد الواحد الأنصاري، سعيد قدورة، عيسى الثعالبي.

إلّا أنّ سيرته لم تلق العناية الكافية من البحث والدراسة، وما يؤكّد ذلك أنّ آثاره وكتبه لا تزال مخطوطة، وما تزال مجهولة حتى عند بعض المتخصّصين في الدراسات الإسلامية.

2- **رحلته إلى المشرق:** في سنة 1074هـ، رحل إلى المشرق مقتفيا أثر شيخه الثعالبي، اتّجه للحجاز، وبعد أداء فريضة الحجّ ذهب لمصر، وأخذ عن مشايخها، فتولّى فيها الإفتاء، كما أنّه درّس بالأزهر، ثمّ رحل إلى تركيا، وفي طريقه أقام بدمشق، وتولّى التدريس بالجامع الأموي، وقد مات على ظهر سفينة سنة 1096هـ.

3- **شخصيته:**

اتّصف بكلّ مواصفات الشخصية المتكاملة، كالجرأة، والذكاء، وحضور البديهة... [1].

4- **آراؤه:**

بعضها وافق فيه سائر علماء الأمة، وبعضها الأخر خالف فيها، ومن آرائه:

- إقراره بصعوبة مسائل العلوم: فقد أثر عنه أنه كان يقول: «بعض مدخرات العلوم قد بقيت للمتأخّرين ممّا عسر فهمه على المتقدّمين»[2].
- نقده للفلاسفة: وذلك لقول بعضهم بالفيض، والبعض الآخر بنفي الصفات.
- عدم تفضيله لمذهب معيّن على سواه: فلم يتعصّب لمذهب معيّن دون الآخر، ولم ينتقد صاحب مذهب لأنه يخالفه.

5- **آثاره:** ألّف في عدّة فنون إسلامية، وإن كانت معظم مؤلّفاته في العقيدة.

الخاتمة:

وذكر فيها الكاتب مجموعة من النتائج، أبرزها: ضرورة تحقيق أعمال يحي الشاوي المليانى التي لا تزال مخطوطة إلى اليوم.

---

(1) للتوسّع أكثر ينظر كل من: الكتاني، فهرس الفهارس، ط3، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1982م: 1133/2، وعبد الرزاق بن حمادوش، الرحلة، تح: أبو القاسم سعد الله، د.ط، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1983م: ص131.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، تونس: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998: 116/2.

ثالثا: الفكر العقدي عند المقري التلمساني(986هـ-1041هـ) من خلال منظومته «إضاءة الدجنة».

1. مقدّمة:

تمثلت كتابات المقري في العقيدة في ثلاثة أعمال أساسية:

الأول: شرح على أمّ البراهين للإمام السنوسي بعنوان: «إتحاف المغرم المغرى بشرح السنوسية الصّغرى».

الثاني: حاشية على شرح أم البراهين للسنوسي أيضا.

الثالث: فهو نظم بعنوان: «**إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة**»، وقد ألّفها أثناء زيارته للحجاز سنة 1029هـ، وأتمّها في القاهرة سنة 1036هـ، وتولّى بنفسه تدريسها وكتب لها الانتشار، فصارت تضاهي كبار المتون، وقد كانت أسباب هذا البحث تتمثّل في عدّة أمور:

- سبب معرفي: وهو التعريف بطبيعة الفكر العقدي عند أحمد المقري.
- مدى الإفادة من هذا الفكر، خاصّة وأنّ الراهن الفكري يطرح إشكالية الاتصال والانفصال مع التراث.
- الكشف عن طبيعة المرجعية الدينية الجزائرية من خلال التركيز على نموذج من نماذجها.

ومنه كانت إشكالية هذا البحث كالآتي: **ما هي محاور الفكر العقدي عند أحمد المقري؟ وكيف تمّ عرضه لمسائل العقيدة في ضوء تلك المحاور؟**

2. محاور الفكر العقدي عند المقري التلمساني:

أ. الحكم العقلي:

بدأ متنه بالحديث عن الحكم العقلي وأقسامه، فكان بذلك مقتفيا أثر السنوسي، وهذا ما يجعلنا نقف عند ماهية هذا الحكم وأقسامه، حيث يعرّفه السنوسي بقوله: «**الحكم هو إثبات أمر أونفيه والحاكم بذلك إما الشرع أو العقل أو العادة**»[1]، إذا كان البدء بمسألة النفي والإثبات كمدار للحكم العقلي، فذلك لأنّ مسائل العقيدة احتيج إلى إثباتها بكيفية عقلية، أو استنادا إلى العقل،

(1) السنوسي، شرح أم البراهين في علم الكلام، تح: مصطفى محمد الغماري، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989م: ص21.

فالحكم العقلي هو مدار الكلام، وليس الحكم العادي، ولا الشرعي، وهذا الحكم ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الواجب، الممكن، المستحيل، وقال بأنّ حكمه الوجوب.

بعد هذا يذهب إلى عرض قضايا العقيدة في ضوء الحكم العقلي، وقد ارتبط بهذا الأصل مبحث الإلهيات ومبحث النبوات، فاستنادا إلى ذلك تمّ بيان ما يجب وما يجوز وما يستحيل في حق الله تعالى، فتمّ الحديث عن الصفات في ضوء هذا الأصل بناء على تقسيم الصفات كما هو عند الأشاعرة، الذين قسّموا الصفات إلى: نفسية، سلبية، معاني، معنوية، أمّا عرض المقّري لها في ضوء الحكم العقلي وأقسامه فكان كالتالي:

في الحديث عن الصّفات النّفسية وهي صفة واحدة «**الوجود**»، استدلّ عليها استدلالا عقليا فقال:

أمّا الدليل لوجود الحق * سبحانه فهو حدوث الخلق**

وهو بهذا استعمل مبدأ السببية الذي من خلاله ينظر إلى الظواهر أنّ لها أسبابا أدَّت إلى حدوثها، فيكون بذلك الخلق معلولا لخالق، وهو الله عزّوجلّ؛ لأنه كما يقول:

لأنّه من المحال الباطل * وجود فعل من دون فاعل**

فهذا يؤدّي إلى القول بالرّجحان بلا مرجّح، وهو من المستحيل عقلا، لأنّ كلّ ظاهرة لها سبب يفسّر حدوثها على النحو الذي هي عليه، فدلّ وجود الكون على موجده، وهو الله سبحانه وتعالى، وعلى هذا النحو جاء حديثه عن الصّفات السلبية، مثل صفة «القِدَم»، وفي اصطلاح المتكلّمين، هي: صفة تسلب عن الله الحدوث، وبانتفاء القدم يثبت الحدوث، وتترتّب الحاجة للمؤثّر، وهذا محال في حقّه تعالى.

كما يلزم عن نفي «القِدَم» القول بأحد الأمرين: إمّا الدَّوْر، بأن يكون السّبب سببًا من جهة، ومسبَّبا من ذات الجهة، وهذا محال، أو القول بالتسلسل، الذي يمضي في افتراض لكلّ معلول علة إلا مالا نهاية، وهذا مستحيل عقلا، وهكذا جاء حديثه عن باقي الصفات السلبية مثل: البقاء، المخالفة للحوادث، القيام بالنَّفس، وعن حديثه عن صفات المعاني، عرضها في ضوء الحكم العقلي أيضا فقال:

والعلم والحياة والقدرة مع ❊❊❊ إرادة الله بها العقل قطع.

فدلّ ذلك على ثبوتها لله عزّوجلّ، لأنّه لو تصوّر انتفاؤها لما كان شيءٌ من هذا العالم، لتوقّف وجودها على القدرة، والقدرة على الإرادة، والإرادة على العلم، والعلم على الحياة ...، ونقيض هاته الصفات نقص، وهذا مستحيل في حقّه تعالى.

أمّا المبحث العقدي الثاني الذي عرضه في ضوء الحكم العقلي فهو مبحث النبوة وذلك بالنظر إلى: بعثتهم، معجزاتهم ...، وبالتالي تكون مسائل النّبوة ممّا يعتريه الحكم العقلي بأقسامه الثلاثة، فما يجب في حقّهم تصديقهم، ولذا قال:

وصدق الرّسل واجب في كلّ ما ❊❊❊ قالوا فكن لصدقهم مسلِّمًا

وأمّا المستحيل العقلي الذي يجب أن ينفى عن الأنبياء هو أن ينسب إليهم ما يقدح في نبوّتهم كالكذب على الله عزّوجلّ، ولذا يقول:

والكذب عدّوه من المحال ❊❊❊ في جانب الرّسل بكلّ حال

وأمّا الجائز العقلي في حقّ الأنبياء، فهو اتّصافهم بما يتّصف به سائر البشر، وذلك لا يقدح في نبوّتهم بأيّ وجه من الوجوه، وفي هذا يقول:

وغير قادح من الأعراض ❊❊❊ في حقهم يجوز كالأمراض [1]

ب. **أوّل واجب على المكلّف:**

هي محلّ خلاف بين العلماء، فمنهم من ذهب إلى أنّ أوّل واجب هو النّظر، ومنهم من ذهب إلى أنّ أوّل واجب هو الإيمان. وإذا عدنا إلى المدرسة الأشعرية؛ فإننا نجد أنّها تثبت أنّ أوّل واجب على المكلّف هو النّظر. والإمام المقّري لم يشذّ عمّا ذهب إليه أعلام المدرسة الأشعرية فقال:

أوّل واجب على المكلّف ❊❊❊ إعماله للنظر المؤلّف

وهذا لما يترتّب عليه من فوائد نفسية ومعرفية مثل امتلاك الدليل فقال:

(1) ينظر: المقري، إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة: كل الصفحات.

كي يستفيد من هدى الدليل * معرفة المصوّر الجليل**

أمّا الأمر الثاني الذي يستفيده المكلّف من إعماله للنظر هو الطمأنينة وهي تحصل بالعلم الذي هو ثمرة هذا النظر فقال:

وتطمئنّ نفسه لما سلم * من ورطة الجهل وللحقّ علم**

وأمّا الأمر الثالث، فهو الاحتياط في الدّين، فلا يبقى عرضة للشكّ، بل يبني إيمانه على يقين. ثمّ نجده يذهب إلى أنّ الحثّ على إعمال النظر ليس مسألة عقلية وحسب، بل هو ممّا أمر به الشرع، وهذا ما جاء في القرآن والسنة فقال:

وجاء في القرآن والأخبار * حثّ على الفكر والاعتبار**

وهو على وجوبه قد دلا * مع كونه بالقصد ما استقلا**

ويتوقف عند قوله تعالى: ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ [الذاريات: 21]، فيراها أنّها دليل عقلي، فيقول:

فاقرأ وفي أنفسكم مع أفلا * تظفر بنور رشده ما أفلا**

ومن المجالات التي يمكن للإنسان أن يفكّر فيها: نفسه، الكون ...، فالنظر عنده هو التأمّل في الذات وفي الموجودات، وأنّه طريق من طرق الإيمان، وأنّه أوّل واجب على المكلّف، وتجدر الإشارة إلى أنّه في عرضه لهذا الرأي لم يهمل الرأي المخالف، وذكر بأنه لا تعارض بين الرأيين فقال:

وقيل بل قصد إليه أول * وفرقةٌ عليه عوّلوا**

وقيل بل معرفة الخلّاقِ * أوّل واجبٍ على الإطلاق**

ومن المسائل التي ترتّبت على هذا الأصل مسألة التقليد في العقيدة، وقد ذهب الإمام المقّري إلى القول بعدم صحّته فقال:

وفي المقلّد خلاف مستطر * لأنّه إيمانه على خطر**

والسبب هو تعرّضه للشكّ، وعدم القدرة على تجاوزه، الأمر الذي قد يؤدّي إلى زحزحة عقيدته فيقول:

وهو معرَّضٌ لشكّ يطرُقُ * وفيه للأشياخ تُنْمى طُرُقُ**

ج. الحدوث:

هو مقولة فلسفية تمّ توظيفها في مجال علم الكلام، والإمام المقري قال بأن العالم محدث:

وهو على مذهبنا المحمود * يوصف بالحدوث والوجود**

وأصل الحدوث كان يستدلّ به على إثبات وجود الله، وهي عين الدليل الذي استند إليه الفلاسفة في إثبات واجب الوجود.

والاستدلال على حدوث الكون عند أحمد المقري كما هو عند المتكلّمين بشكل عامّ يقوم على تحديد العلاقة بين الجواهر والأعراض، من جهة كون الجواهر واقعة والأعراض متعلّقة بها، والأعراض حادثة، ولا يمكن أن تدرك الجواهر إلّا من خلال أعراضها، وبذلك يكون ما لازم الحادث حادثا فيترتّب على ذلك كون الكون حادث، والحادث له محدث، والمحدث والموجد للكون هو الله عزّوجلّ لذا يقول[1]:

وفي حدوث ما سوى الله الغرض * إذ كل عين ليس يخلو عن عرض**

مـــثـــل الروايح أو الأكـــوان * فلا تكن عن شرحـها بالـــواني**

ونتيجة ملازمة الأعراض الحادثة للجواهر يترتّب على ذلك التلازم كون الجواهر أيضا حادثة ولذا قال:

وكلّ ما لازم حادثا وجب * له من الحدوث ما له انتسب**

والحدوث أرجعه إلى سبعة مبادئ، واعتبر أنّ إثبات حدوث العالم لا يتم إلا بها، وهي كما جاءت:

(1) ينظر: مرزوق العمري، العقيدة والفكر: دراسات في الفكر العقدي عند العلماء الجزائريين: ص63.

ولا يـتـمّ المبتـغى للطالب ✻✻✻ إلاّ بـعلم السّـبعة مطـالب

إثبات أعراض وكون العين ✻✻✻ تلازم الأعـراض دون مـيـن

والـمنع للكمون أو الظهور ✻✻✻ والانـتـقال المدّعـى بالـزور

أو أنّـها قائـمة بـنـفسها ✻✻✻ أو كونـها قديمة في جـنـسها

أي قولهم ليس لها من أول ✻✻✻ فالأربع اردد واعضد المعوّل

و أنـف التغير عـن القديم ✻✻✻ تـسرّبـنهج السنة القـويم

د. التأويل.

الامام المقّري قرّر التأويل فقال:

والنص إن أوهم غير اللائـق ✻✻✻ بالله كالتّـشبـيه بالخلائـق

فاصرفه عن ظاهره إجماعا ✻✻✻ و اقطع عن الممتنع الأطماع

ويفهم من هذا أنّ التأويل يجوز الأخذ به لدفع لتشبيه ونفي الجسمية، وكلّ ما لا يليق بجلاله. أمّا عن المجال الذي وظّف فيه التأويل في العقيدة فهو باب الصّفات، خاصّة الخبرية، وهي الصفات التي طريق العلم بها الخبر الصادق، المتمثّل في القرآن والسنة مثل: اليد، الرجل، الوجه ... وقد أوّلت اليد مثلا بالقدرة، والوجه بالذات وهكذا ... [1]

وصار للتـأويـل قـوم عيّنوا ✻✻✻ ممّا يليق راجِـحًا وبـيّـنوا

إذ فسّروا الوجه بذات اليـد ✻✻✻ بقُـدرة وذا الإمـام أيّـدا

وقوله سبحانه من في السما ✻✻✻ معناه بالأمر وسلطان سما

(1) ينظر: مرزوق العمري، العقيدة والفكر: ص67.

وهكذا نجد المقّري يأخذ بالتأويل كآلية إجرائية، إذ به يستعان على فهم مراد الله وتنزيهه، وذلك بالاستعانة بقرائن أخرى.

خاتمة:

خلص الكاتب إلى عدة نتائج أهمّها:

- أنّ كتابات المقري جمعت ما كتبه من سبقه في العقيدة، خاصّة علماء الأشاعرة.
- كما أنّ الفكر العقدي عنده توزّع على أهم المحاور التي قرّرها متكلّموا أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية.
- كما أنّه ردّ على الشبهات، وبذلك يتكرس الجانب الدفاعي لعلم الكلام.

رابعا: درس العقيدة عند الأمير عبد القادر الجزائري (1223هـ-1300هـ).

مقدّمة:

أخذ تراثه بعده الإسلامي والعالمي، وذلك لتوزعه على عدة حقول معرفية، وغرض هذا البحث يتمثل فيما يلي:

- غرض معرفي يهدف إلى التعريف بدرس العقيدة عند الأمير عبد القادر.
- مركزية علم العقيدة في البنية الإسلامية.
- إنّ لحظة الأمير عبد القادر تعتبر لحظة تجديدية في تاريخ علم العقيدة والتي تحاول بعض الدراسات أن تجعلها مرتبطة بشبلي النعماني.

فما هي معالم الدرس العقدي عند الأمير عبد القادر الجزائري؟

1. عرضه لمسائل العقيدة:

أ. موقف الأمير من المناهج السائدة:

قضايا العقيدة عند المسلمين يتم عرضها بمنهجين : منهج المتكلّمين، ومنهج المحدثين، أمّا الأمير عبد القادر فيأخذ بمنهج آخر، وقد أنكر على المتكلّمين في مقدمة كتابه «المواقف»، وذلك لاعتمادهم على العقل في فهم مسائل العقيدة، وأخذهم بالتأويل كإجراء في الدفاع عنها، والأمير في هذا الموقف يشكّل امتدادًا لموقف الشيخ محي الدّين بن عربي، الذي انتقد هو الآخر منهج المتكلّمين، وأنكر الأمير

كذلك على المحدثين منهجهم، ويرفض حتى طريقة الفلاسفة والحكماء، ويتبنّى طريقًا متميزًا وهو طريق السنة وما كان عليه التابعين، ومنهجه توزّع على ثلاث طرق أساسية:

- طريق المتصوّفة:

وتتجّلى معالمها من خلال الجهاز المفاهيمي الصوفي، الذي يوظّف عند الأمير بامتياز مثل: الحلول، الاتحاد، الولاية ...، كما تجلّى من خلال حضور أعلام التصوّف في الخطاب العقدي عنده مثل: الحلاج، الجنيد، ابن عربي ... إلخ.

كما أنّه صرّح باعتماده طريقة المتصوفة، ومن المسائل التي عرضها الأمير وفق هذه الطريقة موضوع الألوهية، سواء من حيث بيان حقيقة الألوهية، أو في باب الأسماء والصفات، أو في علاقة الله بالكون، أو غير ذلك ممّا يتّصل بهذا المبحث، وفي هذا ينقد المتكلّمين في عرضهم لعقيدة الألوهية، ونعرف من هذا أمرين:

- أنّ طريقتهم غير سليمة في نظره.
- أنّ الأمير عبد القادر في دراسته لموضوع الألوهية يرى أنّ هناك فرقا بين الذات والألوهية.

فالأمير يرى أنّ الألوهية غير الذات، فيقول: «**الألوهية تُعلم ولا تُشهد، فإنّها معقولة، والذات تُشهد من بعض وجوهها ولا تُعلم**»[1]، وذلك من حيث كون العقل يستطيع أن يثبت الوجود الإلهي، فيمكن بذلك أن تُعلم الألوهية، وأن تُدرك عقلاً، أمّا ذات الله فهي تفوق العقول، ولذلك قال عنها بأنّها تُشهد ولا تُعلم، وهو في هذا يوافق ابن عربي.

ونجد هذا المنحى الصوفي بارزا في باب الصّفات، فقد أوّل النزول مثلا على أنّه التجلّي، وكلّ عرضه لمسائل العقيدة كان وفق المنظور الصوفي. كما نجد المنحى الصوفي بارزا أيضا في حديثه عن الأفعال، أو ما يعرضه المتكلمون في إطار عقيدة الربوبية، ففي تفسيره لآية الرزق: ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ**﴾ [يونس: 31]؛ فسّر الأمير الرّزق بالمعرفة، وبكيفية صوفية أيضا، فقال عن معنى الرزق: «يريد ما تنتفع به العقول من العلوم والأسرار والأمور التي لا يهتدي إليها العقل إلّا بالفيض الإلهي»[2]. كما تجلّى البعد الصوفي عنده في باب الأسماء.

(1) الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، ط2، دار اليقظة العربية، 1966م: 598/2.
(2) المرجع نفسه: 53/1.

- طريقة المتكلّمين:

وهي الطريقة السائدة عند علماء العقيدة في القديم، وقد عرض الأمير عبد القادر وفق هذه الطريقة عقيدة النبوة بشكل خاص. وقد عرّفها قائلا: «هي عبارة عن طور تتفتّح فيه أعين أخرى، زائدة على طور العقل، ونظرة ينظر بها النبي ما يكون في المستقبل من أمور العقل معزول عن إدراكها»[1]، وعن كيفية ثبوتها يرى أنّها تثبت بثلاث طرق:

الخبر المتواتر: إذ يرى أنّ التواتر مفيد للعلم.

اتحاد مقاصد النبوات: اتحاد دعوة الأنبياء جميعا في المضمون الذي هو جملة تعاليم يأخذ بها الإنسان في الحياة للسعادة في الدنيا وللنجاة في الآخرة.

التأييد بالمعجزة: وهو الدليل الذي يؤيّد الله عزّوجلّ به من اختاره من الرسل ليكون رسوله للناس، وهذا ما ذهب إليه الأمير عبد القادر فقال بأن ما يستدل به على صحة النبوة إظهار المعجزة.

ج. طريقة الدعاة:

وقد أخذ بها الأمير خاصة في كتابيه: «المقراض الحادّ»، (الذي كان بغرض رد شبهة طالت الإسلام)[2]، و«ذكرى العاقل وتنبيه الغافل»، (كان نتيجة استكتاب تلقّاه الأمير من بعض العلماء الفرنسيين)، فكتب يوضّح فيه بعض المسائل الإسلامية ذات العلاقة بالعقيدة بطبيعة الحال.

ومن المسائل التي عرضها في هذا الكتاب مسألة التقليد في العقيدة، وطرح هذا الموضوع العقدي ليبيّن من خلاله هل العقائد في الإسلام تؤخذ تسليما أم تبنى على الدليل؟ مبيّنًا صحة المعتقد الإسلامي، ومكانة العقل في الإسلام، ورادًّا على شبهة معاداة الإسلام للعقل.

وقد قسّم المقلّد إلى قسمين:

عالم أسعد نفسه وفي مقدرته أن يسعد غيره، وهو الذي عرف الحق ودعا الناس إليه بالدليل لا بالتقليد.

ومهلك نفسه وغيره، وهو الذي قلّد أجداده ودعا الناس إلى التقليد[3].

---

(1) الأمير عبد القادر الجزائري، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، تح: ممدوح حقي، مكتبة الخانجي: ص87.

(2) ينظر: الأمير عبد القادر، المقراض الحادّ، د.ط، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.

(3) الأمير عبد القادر الجزائري، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل: ص102.

أمّا أسباب التقليد في نظره فهي خمسة:

- نقصان في ذات القلب.
- الاشتغال بالدنيا.
- أن يكون معدولا به عن جهة الحقيقة.
- الحجاب.
- الجهل بالجهة التي يقع فيها العثور على المطلوب.

ونظرته للتقليد مبنية على ما يمكن أن يترتّب عليه من خطر في العقيدة، وعلى ما يتوفّر في الإنسان من ملكات تمكّنه من العلم، وتغنيه عن التقليد، ولذلك أثبت بطلان التقليد، وحكم على المقلّد بحكم قاس، قائلا: «وأن بهيمة تنقاد أفضل من مقلّد ينقاد»، ليكون مثل الإمام السنوسي، والإمام المقري.

2. منهجه في الاستدلال على قضايا العقيدة

تنوع الدليل الذي اعتمده على ثلاثة أنواع:

أ. الاستدلال بالعقل:

فنجد الدليل العقلي معتمدًا عنده في مسائل العقيدة، ويتجلّى هذا في اعتنائه بتعريف العقل وبيان مكانته، كما يتجلّى في الاعتماد عليه كدليل في مسائل العقيدة. ويورد أربعة معان للعقل:

- ما يفارق به الإنسان الحيوان.
- المعارف القبلية.
- المعارف المكتسبة.
- القدرة على تقدير الأمور واستشراف عواقبها.

ويستعين بالعقل في الاستدلال على مسائل العقيدة ومن الأمثلة على ذلك:

- في عرضه لعقيدة الألوهية، عاد إلى العقل ليتخذ منه دليلا، فذهب إلى ما قاله الرازي أنّ من طرق البرهان العقلي، طريق الفلاسفة الذي يبدأ من التأمل في الكون وينظر في نظامه وترتيبه ورعاية

مصالح المخلوقات فيه، ممّا يدل على أنه ليس بشيء لم يخضع لترتيب، بل يدل على أنه يخضع لمدبّر حكيم.

- وفي حديثه عن عقيدة النبوة، وردّه على من يشكّكون فيها، ردّ عليهم ردًّا عقليًّا من خلال اعتماده طريقة السبر والتقسيم، واعتمد على العقل في استدلاله على عقيدة السمعيات وأمور المعاد.

ب. الاستدلال بالنقل:

هذا الأسلوب الاستدلالي تجلى عند الأمير في عرضه لمسائل عديدة مثل:

- بعض الصفات في باب الألوهية، كصفة الإرادة، إذ ذكر بأنها إرادة واحدة لها نوعان من التعلّق، وإرادته سبحانه وتعالى نافذة، والدليل قوله: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون**﴾ [يس: 82].

- موضوع الجن ففي الاستدلال عليه عاد إلى قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا**﴾ [الجن: 11]، والعديد من الآيات الأخرى.

ج. الاستدلال العرفاني:

حتّى نجده أحيانًا يصرّح بأنّ العرفان هو المسلك الرئيس الذي يسلكه في استدلاله على أيّ مسألة. ومن المسائل التي استدلّ عليها عرفانيّا مسألة التأويل، وقد كان يقول بعدم جدوى التأويل، ثم صار يقول به، معتمدا في ذلك على الفناء كمقام عرفاني، وفي استدلاله على علاقة الوجود الالهي بالعالم استدلّ عليه من منظور وحدة الوجود كمنظور صوفي عرفاني.

3. الرد على الشبهات:

وهو المحور الذي يمكن القول عنه: إنّه يمثّل الصّورة التقليدية لعلم الكلام، وهي الدفاع عن عقائد الإسلام، والردّ على الشبهات التي تريد النيل من الإسلام، والشبهات التي وقف عندها هي:

أ. الشبهات القديمة:

ومنها شبهة القول بالفيض، وهي شبهة شاعت عند الفلاسفة، كما عُرفت عند بعض المتصوّفة، مثل: السهروردي، وهذه النظرة أفضت إلى القول بفكرة العقول العشرة، واعتبارها مستويات الوجود المختلفة. وقد كان ردّه على هذه النظرية من الأساس الذي قامت عليه، وهو أنّ الواحد لا يصدر عنه

إلّا واحد، لأنّه لو صدر عنه أكثر من واحد لكانت مصدريته للأوّل غير مصدريته للثاني، وهذا ما يؤدّي إلى طرح التسلسل، وقد ردّ على ذلك بقوله: «نختار أنّ المصدريتين خارجتان عن الواحد الحقيقي، لكنّ المصدرية لكونها من الأمور الإضافية التي لا وجود لها في الخارج غير محتاجة إلى علّة توجدها، فلا تكون الذات مصدرا للمصدرية، فلا تكون مصدرية أخرى فلا تسلسل»[1].

ب. شبهات حديثة:

مثل الشبهة التي دفعت به إلى تأليف «المقراض الحادّ لقطع لسان متنقص دين الإسلام بالسبّ والإلحاد»، ومضمونها أنّ بعض القساوسة في فرنسا تكلّم عن الإسلام، وقال عنه بأنه دين لا يستهجن صفة الغدر وعدم الوفاء بالعهد.

وهي شبهة مرتبطة بالجهاد، أريد من خلالها أنّ الإسلام دين يقوم على القتال، وفي سبيل غايته لا يحترم العهود، وهي على ارتباط بما قاله المستشرقون، ولدفعها عاد الأمير إلى موضوع القتال في الإسلام، مبيّنًا حقيقته وأحكامه، فعن مشروعيته -مثلا- بيّن بأنه كان لدفع الضرر وليس لشيء أخر.

خاتمة:

خلص بمجموعة من النتائج أبرزها:

أنّ الأمير اشتغل بتعليم العقيدة وعرضها والدفاع عنها بطريقة تقليدية تعليمية.

خامسا: الشيخ عبد القادر المجاوي (1267هـ-1332هـ)، وكتابه «القواعد الكلامية».

مقدمة:

الذي دفع بالكاتب لتأليف هذا الكتاب ما يلي:

- التعريف بعبد القادر المجاوي.
- المجاوي كان من مؤسسي النهضة الدينية في الجزائر.
- لحظة الشيخ عبد القادر تعدّ محطة تجديدية في تاريخ علم العقيدة.

(1) الأمير عبد القادر الجزائري، المقراض الحادّ: ص23.

لتكون إشكالية هذه الدراسة الآتي: **من هو الشيخ عبد القادر المجاوي؟ وما طبيعة إسهاماته في علم العقيدة؟**

1. ترجمة الشيخ عبد القادر المجاوي

أ. مولده ونشأته:

هو الشيخ عبد القادر بن محمد بن عبد الكريم الحسني الجليلي المجاوي التلمساني، ولد سنة 1267هـ، في تلمسان، وعرف بالمجاوي نسبة لقريته، تربّى في بيت علم ودين. تلقّى تعليمه الأول بالمغرب، ثمّ عاد ليتولّى التدريس في الجزائر، وهو ابن العشرين من عمره، وفي سنة 1898هـ عيّنته الحكومة الفرنسية مدرّسا بالمدرسة الثعالبية التي كانت متخصّصة في تكوين القضاة والمترجمين.

ب. نشاطه الإصلاحي:

توزّع نشاطه على عدة فضاءات هي:

التعليم: بدأ عمله التعليمي في مساجد قسنطينة بعد عودته من المغرب، وبشكل خاصّ في مدرسة «الكتانية»، وذلك سنة 1877م، فتولّى تدريس العلوم الشرعية والأدب العربي، فبدأ إقبال الطلبة عليه من كلّ أنحاء الوطن، فبرز على يده نخبة صاروا شيوخا، مثل: الشيخ حمدان لونيسي، المولود بن موهوب، عبد الكريم باش طارزي، حمود الدراجي[1].

الدعوة: تتمثّل بشكل خاصّ في نشاطه المسجدي، حيث تولّى الإمامة في قسنطينة، فكان يحارب الجهل والآفات الاجتماعية، فدعا إلى تعليم المرأة، وإلى إحياء اللغة العربية[2].

الإعلام: كتب المجّاوي في عدّة صحف كانت تصدر في الجزائر منها: المغرب، كوكب إفريقيا، المبشّر...، وكانت مواضيع إصلاحية معبّرة عمّا يحتاج إليه المسلم الجزائري.

التأليف: له مؤلّفات كثيرة مثل: نصيحة المريدين، إرشاد المتعلّمين، تحفة الأخيار فيما يتعلق بالكسب والاختيار[3].

---

(1) ينظر: مرزوق العمري، العقيدة والفكر: ص71-72.

(2) ينظر: عبد القادر المجاوي، إرشاد المتعلّمين، تح: عادل بن الحاج همال الجزائري، ط1، بيروت: دار ابن حزم، 2008م، كل الصفحات.

(3) ينظر كل من: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998م: 3/127-128، ومحمد الصالح الصديق، أعلام الغرب الإسلامي، نقلا عن مقال بعنوان: ترجمة الشيخ عبد القادر المجاوي.

ج. وفاته: توفي سنة 1914م بقسنطينة.

2. كتاب «القواعد الكلامية».

تناول فيه جميع المباحث العقدية، وهو بحاجة إلى تحقيق كامل، وقد توزّع على مقدّمة وعشرة فصول وخاتمة. أمّا المقدّمة فقد تضمّنت مدخلا تعريفيًّا بعلم الكلام، موضوعه، فائدته، حكمه، أسماؤه، نسبته، فضيلته، تاريخ علم التوحيد وفيه تمّ التطرّق إلى مختلف المراحل التي مرّ بها علم الكلام من فجر الإسلام إلى أن استقرّ بعد عملية التدوين، وأشار إلى الفرق بينه وبين الفلسفة، مرتّبة العقل في مدارك الحقائق، وفيه إشادة بدور العقل، كذلك تحديد بعض المفاهيم الكلامية وبيان الحكم الشرعي لبعض المسائل عند المتكلّمين، مثل: الدليل وما يلائمه، النظر، الشهادة. أمّا فصول الكتاب فقد توزّعت كالتالي:

- الحكم العقلي وأقسامه.
- في بيان التوحيد والاستدلال.
- في أنّ ذات الباري لا تُكْتَنَه، واستحالة تولّد الخلق من ذاته تعالى، وبطلان الاتحاد والحلول.
- في الإلهيات.
- في بعض ما ذهب إليه الفلاسفة.
- في ذكر العقائد مجملة.
- في أنّه تعالى لا خالق سواه.
- في بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
- في أنه تعالى يرى.
- في مسائل من السمعيات.

وفي عرضه لهذه الفصول يلاحَظ ما يلي:

- يعرض فيه قضايا العقيدة على الطريقة الأشعرية، ويرى أنّهم هم من مثّلو الحقّ، كما نجد حضورا ظاهرا للمرجعية الأشعرية من خلال العودة إلى أبرز أعلامها.

- الكتاب تناول مسائل العقيدة بطريقة تقريرية تعليمية، لا تنظيرية، ولا تجديدية، حيث لا تعليق فيها على القضايا التي كانت مطروحة في زمنه، ولا ذكر للذين كانوا يكتبون في علم التوحيد من معاصريه، ممّا يدلّ على أنّه كتب لغرض تعليمي. وهي شبيهة بـ«رسالة التوحيد» للشيخ محمد عبده، و«الجواهر الكلامية» للشيخ طاهر الجزائري، و«العقيدة النظامية» للجويني. ثمّ إنّ الشيخ يأتي عمله في الإطار العام للعمل الإصلاحي.

- الكتاب جامع لأبواب العقيدة حسب التقسيم التقليدي: إلهيات، سمعيات، نبوات. وفي هذا المبحث اقتصر على الصّفات دون الوجود، وذلك خلاف عادة جمهور المتكلّمين. وأورد باب النبوات بشكل من الاختصار، حيث لا نجد كلّ ما يتعلّق بالنبوة في باب النبوة، بل بعض مسائله أدرجت في أبواب أخرى، مثل: مبحث الرسالة الذي أدرجه في السمعيات. أمّا مبحث السمعيات فأورد مسائله بشكل تقريري مختصر، تحدّث فيه عن أهمّ مسائل السمعيات.

- الكتاب لا يُلمس فيه الملمح التجديدي، فهو خلاف الكتب التي ألّفت في تلك المرحلة.

- ركّز على بعض المسائل المختلف فيها في زمن التدوين مثل: مسألة المتشابه، والتي عرض من خلالها ما اصطلح عليه بالصفات الخبرية.

- الردّ على الفلاسفة القدامى، كالردّ على نظرية الفيض، والبعث الروحاني ... إلخ.

- أمّا الخاتمة فقد كانت خاتمة تقليدية، تمّ التطرّق فيها إلى مسائل أخرى، حيث قسّمها إلى أربعة مطالب هي: الفرق بين الأشاعرة والماتريدية، في أقاويل الفلاسفة المخالفة للشّرع، في ذكر عقيدة أهل السنة والجماعة، في المعجزات.

خاتمة:

توصّل الكاتب إلى عدّة نتائج أهمها:

أنّ الشيخ من المجاوي من أهمّ العلماء الجزائريين المجهولين، ولذلك وجب الاهتمام بتراثه والتعريف به.

سادسا: الشيخ الطاهر الجزائري (1268هـ-1338هـ)، ونظرته إلى تدريس العقيدة

مقدّمة:

كان لإعداد هذا البحث عدة مبررات، وهي:

- أنّ البحث في هذه الشخصية يتيح لنا التعرّف عليها وعلى أهمّ منجزاتها.

- إبراز دوره في الإصلاح والنهضة العربية الإسلامية الحديثة، من خلال الإشارة إلى جهوده الإصلاحية والعلمية.

- إبراز جهوده في خدمة العلوم الإسلامية.

وقد اعتمدَتْ هاته الدراسة على كتابين بالدرجة الأولى وهما: الجواهر الكلامية، الجوهرة الوسطى في قواعد العقائد.

1. التعريف بالشيخ طاهر الجزائري

أ. المولد والنشأة: هو الشيخ طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني الوغليسي الجزائري، ولد في دمشق سنة 1268هـ، موطنه الأصلي «سمعون»، وهي قرية تقع بضواحي بجاية. وقد تعرّضت عائلته للتهجير القسري[1].

وفي الشّام أخذ تعليمه الأوّل على أيدي كبار العلماء، ثمّ التحق بالمدرسة الجمقمقية، وفيها تتلمذ على أيدي كلّ من: عبد الرّحمن البستاني، عبد الغني الغنيمي الميداني.

ب. شخصيته: اتّصف بكلّ مواصفات الشخصية القوية والأخلاق الحسنة، كما عرف بصداقاته الكثيرة حتى مع كبار المستشرقين مثل: جولدزيهر، مرغليوث.

ج. نشاطه الإصلاحي: كان يرى أنّ من شروط نجاح العمل النهضوي الاقتباس والأخذ عن الأمم المتقدّمة فيما ينفع، وعدم الانغلاق على الذات، فجهوده كانت متنوّعة كالآتي:

- **التدريس:** تصدّى له لأول مرة في المدرسة الظاهرية الابتدائية، كما ساهم في فتح نحو إحدى عشرة مدرسة ضمّت مئات الطلبة.

- **النشاط الجمعوي:** ساهم في تأسيس الجمعية الخيرية والتي كان هدفها الرئيس مواجهة تحدي النشاط التعليمي للإرساليات التبشيرية التي توالت على دمشق، وحظيت هاته الجمعية بدعم الوالي التركي، وتحوّلت هاته الجمعية إلى ديوان للمعارف.

(1) ينظر كلّ من: خير الدين الزركلي، الأعلام، ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1980م: 165/6، وأبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ط4، تونس: دار الغرب الإسلامي، 1992: 198/2.

- **تأسيس المكتبات:** فقد أسّس دار الكتب الظاهرية سنة 1296هـ، وهي من أهمّ المكتبات الإسلامية في المشرق العربي، وأنشأ مكتبة في القدس هي المكتبة الخالدية.

- **تأسيس ندوة فكرية:** وهي ندوة عُرِفت بحلقة الشيخ طاهر، والتي كانت تُعنى بمناقشة محاور علمية كثيرة، وكان يؤمّها كبار مثقّفي سورية ومتعلّميها، منهم: جمال الدّين القاسمي، محبّ الدّين الخطيب، محمّد كرد علي ... إلخ.

- **التأليف:** ترك الكثير من الكتب بعضها لا يزال مخطوطا، وقد اعتُبر أسلوبه في الكتابة من الأساليب التجديدية ومن كتبه: تدريب اللّسان على تجويد البيان، الجواهر الكلامية ... إلخ.

2. نظرته إلى تدريس علم العقيدة

كان الشيخ الطّاهر عالمًا موسوعيًّا، وما كتبه الشيخ الطاهر في باب العقيدة هو كتب مدرسية تهدف إلى تعليم التلاميذ مسائل العقيدة، وتبني في نفوسهم التصوّر الصّحيح لحقائق: الألوهية، الوجود، النبوة...، ومن خلال كتابيه: «الجوهرة الوسطى في قواعد العقائد»، و«الجواهر الكلامية في العقائد الإسلامية»؛ يمكن لنا الوقوف على ملامح نظرة الشيخ الطّاهر الجزائري لتدريس علم العقيدة، وتتجلّى معالم هذه النظرة فيما يلي:

أ. العقيدة: مسألة التعريف.

عرّف العقيدة بأنّها: «**الأمور التي يعتقدها أهل الإسلام، أي يجزمون بصحّتها**»[1]، ويمكن اعتباره أنّه أوّل من وضع تعريفا اصطلاحيا للعقيدة في العصر الحديث.

ب. النظر العقلي:

على الرغم من إشادته بموقف السّلف، واعتباره الموقف الأصحّ، إلا أنّه كان يطرح وجه الحاجة إلى العقل، وأشار إلى ثنائية العقل والنقل. وقد جاءت مقدّمة كتابه «الجوهرة الوسطى» في تعداد المواقف العقلية التي من خلالها وصل إلى أنّ العقل حليف للنقل، وأنّه من مسالك المعرفة ومصادرها، فالعقل عنده جوهرة نفيسة.

(1) طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية: ص36.

وعن كيفية وصول العقل وإدراكه لهذه الحقائق العقدية؛ يشير الشيخ الطّاهر إلى بعض المسالك العقلية التي اعتمدت عند علماء العقيدة في القديم، مثل مبدأ السببية، ويرى تكامل النظر العقلي مع الوحي فيرى أنّ «**العقل كالأساس والشرع كالبناء**».

ج. البعد عن التنظير:

تميّز بالبعد عن التنظير؛ لأنّ كتاباته لم تكن للردّ على الشبهات، وعرضه لقضايا العقيدة كان بكيفية تعليمية تربوية، فاكتفى بعرض أصول الإيمان في «الجواهر الكلامية»، فهو كلّه سؤال وجواب.

د. التبسيط:

ممّا تميّز به تبسيط مسائل العقيدة، ومسائل العلوم كلّها، فابتعد عن أساليب المتكلّمين ومصطلحاتهم، واكتفى بالتركيز على أصول الإيمان وأركانه.

هـ. تجاوز الخلاف:

تجاوز الخلافات المذهبية، وقدّم أصول الاعتقاد كما هي مستوحاة من النصوص دونما خوض في هذه الخلافات، وهذا تماشيا مع المنحى التربوي الاصلاحي.

و. ترك التأويل:

تركه ودعا إلى عدم الأخذ به، أخذًا في ذلك بمذهب السّلف، ولذلك حينما تحدّث عن الصّفات التي كانت محلّ خلاف بين مؤوِّل لها وغير مؤوِّل، مثل صفة الاستواء، عرض موقفه وقال: «**الصّفات كالذّات**».

خاتمة:

خلص إلى مجموعة من النتائج أهمّها:

أنّ الشيخ طاهر الجزائري شخصية قويّة، لها حضورها في مجال العمل الإصلاحي في العصر الحديث، فوجب التعريف به وبجهوده، فهو من الذين سخّروا حياتهم لميدان التربية والتعليم.

سابعا: الشيخ مبارك الميلي (1316هـ-1364هـ)، ومنهجه في إصلاح العقيدة

مقدّمة:

جاءت كتابات مبارك الميلي في إطار القيام بالإصلاح، فهو أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد أثمر جهده كتابا شهيرا، وهو: «**رسالة الشرك ومظاهره**»، ومن هنا كانت مبررات البحث في هذا الموضوع كالآتي:

- التعرّف على هذا النمط من الكتابة في باب العقيدة والذي يمكن اعتباره نمطا جديدا.
- الكشف عن المرجعية الحقيقية للعمل الإصلاحي الذي عرفه المجتمع الإسلامي الحديث، والذي مثّله جهود علماء كثيرين، مثل: مبارك الميلي[1].
- الوقوف على طبيعة الأخطاء التي كانت سائدة في العقيدة[2].

لتكون إشكالية هاته الدراسة: **ما موقع القضايا العقدية في الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي؟ ماهي معالم منهجه الذي وظفه في معالجة الانحرافات العقدية؟ وما هو الأثر الذي أحدثه جهده في هذا المجال؟**

1. مركزية قضايا العقيدة في الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي:

تميّز الميلي بقريحة علمية، واندفاعٍ قويٍّ إلى العمل الإصلاحي، فكرَّس وقته للعمل العلمي في التعليم والكتابة والتدريس.

فكان من أهمّ أهدافه تطهير العقيدة ممّا لصق بها من الضلالات، وإرجاع قوة الإسلام بنفي العقائد الأجنبية عنه.

2. التركيز على ظاهرة الشرك:

هو كاتبٌ مُصلح، جاءت كتاباته في قالب إصلاحي، عدا كتابه «تاريخ الجزائر في القديم والحديث»، وقد جاءت رسالته «**الشرك ومظاهره**» جامعةً لموضوع الشّرك من حيث بيان معناه،

(1) ينظر: مرزوق العمري، العقيدة والفكر: ص147-148.

(2) المرجع نفسه: ص152- 153.

ومظاهره، وحماته، وذكر مخاطره وكيفية معالجته، وقد كان التركيز على هذه الظاهرة لعدة مبررات، وهي:

أ. خطورة الشرك:

- **على العقيدة:** فهو خطر يتهدّد التوحيد الذي هو روح العقيدة الإسلامية، إذ أنّه يؤدّي إلى عبادة غير الله سبحانه وتعالى، ولذلك كان من أكبر الكبائر وسبب إحباط الأعمال.

ومنهج الشيخ مبارك؛ انطلق من السّالب، فعوض الانطلاق من التوحيد وبيان محاسنه نجده يبدأ من الشرك وبيان مضارّه.

- **على النفس:** ولبيان خطورته على الناحية النفسية بدأ الشيخ في تقرير الطبيعة الإنسانية التي تمثّلت في ثنائية الرّوح والمادة، أو الروح والجسد، وبما أنّ الإنسان بطبيعته ميّال إلى المادة؛ فهذا ممّا يؤدّي إلى اختلال التوازن في كيانه، بوقوعه في الشّرك الذي هو أكبر النقائص التي تعتري النفس الإنسانية.

- **على المجتمع:** اعتبر الميلي الشّرك سبب كلّ الآفات الاجتماعية والتدهور الحضاري[1].

ب. **التفاعل مع المنحى الإصلاحي العامّ:** كتابته كانت كتابة المصلح الذي يتعاطى مع مظاهر الفساد فيتتبّعها بغرض إصلاحها، وكانت عقيدة المسلم الجزائري أخطر موضوع طاله التشوّه، وذلك بتفشّي المظاهر الشّركية المنافية للتوحيد.

ج. طبيعة المخاطب: وهو الجزائري المسلم الذي عرضت له هذه الشبهات، فهو في حاجة إلى من يبيّن له مكمن الخطأ، ويحذّره من مواطن الشّرك حتى تكون صحيحة، لذلك كان يسلك مسلك المعلّم المصلح.

ممّا يدلّ على أنّ منهجه كان بعيدًا عن التنظير، بل كان منهجا واقعيا يتعاطى مع مظاهر الانحراف التي شابت العقيدة ويعمل على إصلاحها.

(1) مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، الجزائر: شركة الشّهاب: ص52.

3. التشخيص الواقعي لظاهرة الشّرك:

طبيعة العمل الاصلاحي جعلته يركّز على البعد الواقعي لكلّ ظاهرة. وقد كانت حاجة الشعب الجزائري في باب العقيدة معرفة حقيقة المظاهر الشركية، وكيفية التخلّي والابتعاد عنها، وهي مظاهر شملت التصوّر والقول والفعل جميعًا.

ففي الاعتقاد؛ تفشّت معتقدات منافية للتوحيد، كادّعاء العلم بالغيب للمخلوقين، وظاهرة التوسّل بالمخلوقين ...، ومن المظاهر القولية في الشّرك دعاء غير الله، واليمين والقسم بغير الله، أمّا الشّرك في الأفعال؛ فتمثّل في عدّة ممارسات كالسحر، والتمائم، والذبائح ... إلخ.

4. العودة إلى الأصول والاقتداء بالسّلف:

لقد كان الشيخ الميلي في محاربته للمظاهر الشركية، وفي جهوده في إصلاح العقيدة؛ داعيةً إلى الالتزام بالأصول (الكتاب والسنة)، والاقتداء بالسّلف الصّالح.

وهو في محاربته للمظاهر الشركية التي تفشّت في المجتمع الجزائري قدّم دلائل نقلية، سالكا ما اصطلح عليه علماء العقيدة: منهج المحدّثين وأهل الأثر.

خاتمة:

توصّل إلى عدة نتائج أبرزها:

أنّ الميلي من العلماء الذين اهتمّوا بدراسة العقيدة في إطار إصلاحي تربوي، وأنّ منهجه تمثّل في ثلاثة عناصر شكلت بتكاملها منهجا عالج من خلاله الانحرافات التي طالت العقيدة الإسلامية، وقد اتّسم منهجه بالواقعية، كما أنّه منهج نقلي بعيد عن منهج المتكلّمين.

ثامنا: الشيخ محمد العربي التباني (1315هـ-1390هـ)، وكتابه «براءة الأشعريين من عقائد المخالفين»:

مقدّمة:

هو من العلماء اللذين هاجروا وماتوا خارج الجزائر، فهو عالم جزائري ساهم بمؤلّفاته في خدمة العلوم الإسلامية، ومن الأسباب التي دفعت الباحث للكتابة عنه:

- أنّه من العلماء المجهولين.

- أنّه برز في ظرف هو انطلاقة النهضة الدينية في الجزائر، فقد كان معاصرًا لكبار رجال جمعية العلماء.

- التعريف بكتابه، كونه يسعى إلى تصحيح رؤى، والردّ على بعض الكتابات التي أرادت النّيل من النّمط الأشعري في عرض العقيدة.

لتكون إشكالية هذا البحث: **ماهي جهود الشيخ محمد العربي التباني في درس العقيدة؟**

لقد تطرّق في كتابه هذا إلى المدرسة الوهّابية في بُعْدها العقدي، وتعرّض لهاته المدرسة بالنّقد، وكتابه هذا يشبه كتاب ابن عساكر «**تبيين كذب المفتري فيما نُسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**»، وكتابه تمحور حول الردّ على الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب في أهمّ المسائل العقدية، وقد لخّصها في أربع مسائل، وهي:

1. التجسيم: الشيخ التباني وقف عند مسألة التجسيم، كأهمّ مسألة ميّزت الموقف الحشوي، من حيث أصلها، ثم كيفية انتشارها في الإسلام، والنهي عنها، ووجوده في بعض كتابات الحنابلة حتى ابن عبد الوهاب، ثم تبرئة بعض أعلام الأشعريين من القول به[1].

فعن أصل التشبيه نفى الشيخ التباني أن يكون هذا من الإسلام، فينفي كونه من المعتقدات الإسلامية، ويرجع هاته الفكرة إلى مصدر يهودي، أمّا عن حضورها في كتب الحنابلة فقد ذكر نماذج اعتبرها هي التي كانت مقدّمات مثل:

- «كتاب السنة» لعبد الله بن أحمد بن حنبل.
- «كتاب عثمان بن سعيد الدارمي» الذي تضمّن نصوصا مجسّمة.

أمّا عن القول بالتجسيم في كتب الأشاعرة فقد اعتبره التباني مدسوسًا في كتبهم، وليس ذلك معتقدهم، ومن الكتب التي دُسّ فيها هذا المعتقد حسب التباني:

- كتاب «الإبانة» للأشعري.
- تفسير الإمام الطبري.

(1) محمد العربي التباني، براءة الأشعريين من عقائد المخالفين، الجزائر: منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،2011م: 7/1 وما بعدها.

- تفسير الإمام القرطبي.

- تفسير الإمام الألوسي، لعبد القادر الجيلاني.

2. تقسيم التوحيد إلى توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية: برّأ الأشاعرة من هذا المعتقد، فالأشاعرة قسّموا التوحيد إلى: توحيد الذّات، وتوحيد الصّفات، وتوحيد الأفعال، أمّا محمد بن عبد الوهّاب، فقد قسّمه إلى: توحيد الألوهية، توحيد الربوبية، توحيد الأسماء والصّفات، وهو في هذا يقلّد ابن تيمية، وقد ردّ على هذا التقسيم ومن ردوده:

- أنّ تقسيم التوحيد إلى: توحيد ألوهية، وتوحيد ربوبية، لم يثبت عن ابن حنبل، ولا عن الصحابة والتابعين، ولا في السنة النبوية.

- من حيث الدلالة اللغوية لكلمتي «الربّ»، و«الإله» يرى أنّهما متلازمتان.

- ترتّب على هذا التقسيم؛ القول بأنّ المشركين يعرفون توحيد الربوبية، وحقّقوه، وهذا باطل، بدليل قولهم، فيما حكى عنهم القرآن الكريم: ﴿**وَقَالُوا مَاهِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ**﴾ [الجاثية: 24]، فهم اعتقدوا أنّ موتهم بفعل الزّمان، ما يدلّ أنّهم لم يحققوا توحيد الربوبية.

- لم يأت أمرٌ خاصٌّ في القرآن بتوحيد الله عزّوجلّ في ألوهيته، ولم يقل ربُّنا أنه من لم يعرف توحيد الألوهية لا يُعتدّ بتوحيد ربوبيته، بل كانت كلمة التوحيد مطلقة[1].

3. الإخلال بتوقير النبي ﷺ في عدة مسائل: يؤاخذ الوهابية في هذا، عائدًا إلى نصوص الوحي ليستدلّ على توقير النبي ﷺ، ثمّ أورد المسائل التي يرى أنّ الوهابية أخلّت فيها بتوقير النبي ﷺ، وهي:

- إيذاء النبي ﷺ في والديه بالحكم عليهما بأنّهما على غير العقيدة الإسلامية.
- النهي عن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.
- النهي عن زيارة قبر النّبي ﷺ.
- وتكفيرهم لعموم المسلمين حيث كفر الوهابية عموم المسلمين في المسائل الثلاثة.

4. منع التوسل بالنبي ﷺ: وقد رد الشيخ التباني على الوهّابية في قولها بمنع التوسّل بالنبي ﷺ، من خلال الكشف عن أسبابها، وهي: الجهل بحقيقة العبادة، الجهل بمعنى الوسيلة، فساد القياس الذي تمّ به التوصل إلى هذا الحكم[2].

(1) التباني، براءة الأشعريين: ص126.

(2) المرجع نفسه: ص155.

5. **النداء بـ (يا رسول الله)**: وقد ردّ على الوهابية في منع هذا النداء، بعدّة ردود أيضا.

الخاتمة:

تضمنت عدة نتائج أهمها، أنّ هذا الكتاب لم يأخذ منحنى تجديديا، فالمسائل التي عرضها تُعدّ من المسائل الكلامية القديمة، كما أنّ هذا الكتاب بحاجة إلى تحقيق، لأنّ الكثير من مسائله واقتباساته وتعليقات صاحبه تحتاج إلى دراسة من جديد.

خاتمة:

ممّا تقدّم من عرض جهود «مرزوق العمري» في التعريف بنماذج من علماء الجزائر، وتراثهم في مجال العقيدة الإسلامية، وذلك في كتابه: «**العقيدة والفكر: دراسات في الفكر العقدي عند العلماء الجزائريين**» إلى مجموعة من النتائج أهمها:

1. كتب ومتون علماء الجزائر من أهم ما كتب في العقيدة الإسلامية في زمانها، ونافست المؤلفات التي جاءت من بعدها.
2. تراث علماء الجزائر وإنتاجهم العلمي ساهم في خدمة العلوم الإسلامية، خاصة علم التوحيد.
3. كلّ علماء الجزائر دافعو عن مرجعيتهم الدينية وثوابت الأمة بالعلم الراسخ، وإن اختلفت مناهجهم.

أهم التوصيات:

1. العناية بالتراث الجزائري تحقيقا وإخراجا، خصوصا مع التغييب الذي نشهده لمنجزات العلماء والمصلحين الجزائريين، سواء منهم أنفسهم، أو من غيرهم من الباحثين في الأمصار الأخرى.
2. الحاجة إلى إعادة قراءة مثل هذه الأعمال اليوم في إطار حياتنا المعاصرة، نظرا لما تميّزت به أفكار هؤلاء من الوسطية والاعتدال، وعدم نبذ الآخر.
3. التعريف بالمهتمين بدراسة تراث علماء الجزائر، أمثال الأستاذ مرزوق العمري، لأن سيرهم وأعمالهم لازالت مجهولة، وهذا يحتاج إلى البحث والدراسة.

قائمة المصادر والمراجع

1. الأمير عبد القادر، بن محي الدين بن مصطفى الجزائري، **المقراض الحادّ لقطع لسان متنقص دين الإسلام بالسبّ والإلحاد**، د.ط، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.
2. الأمير عبد القادر، بن محي الدين بن مصطفى الجزائري، **المو اقف في التصوّف والوعظ والإرشاد**، ط2، دار اليقظة العربية، 1966م.
3. الأمير عبد القادر، بن محي الدين بن مصطفى الجزائري، **ذكرى العاقل وتنبيه الغافل**، تح: ممدوح حقي، مكتبة الخانجي.
4. التباني، محمد العربي، **براءة الأشعريين من عقائد المخالفين**، الجزائر: منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،2011م.
5. الحفناوي، أبو القاسم، **تعريف الخلف برجال السلف**، الجزائر: سلسلة الأنيس للعلوم الإنسانية، 1991م.
6. بن حمادوش، عبد الرزاق، **الرحلة**، تح: أبو القاسم سعد الله، د.ط، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1983م.
7. الزركلي، خير الدّين، **الأعلام**، ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1980م.
8. سعد الله، أبو القاسم، **تاريخ الجز ائر الثقافي**، ط1: تونس، دار الغرب الإسلامي، 1998م.
9. السنوسي، أبو عبد الله محمد بن يوسف، **شرح أم البراهين في علم الكلام**، تح: محمد الغماري، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989م.
10. الطاهر الجزائري، **الجواهر الكلامية**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
11. العمري، مرزوق، **العقيدة والفكر: دراسات في الفكر العقدي عند العلماء الجز ائريين**، د.ط، الجزائر، المجلس الإسلامي الأعلى، 2018م.
12. الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير، **فهرس الفهارس**، ط3، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1982م.
13. المجاوي، عبد القادر، **إرشاد المتعلّمين**، تح: عادل بن الحاج همال الجزائري، ط،1، بيروت: دار ابن حزم، 2008م.
14. المجاوي، عبد القادر، **تحفة الأخيار فيما يتعلّق بالكسب والاختيار**، تح: مرزوق العمري، عمّان (الأردن): دار الأصليين.
15. ابن مريم التلمساني، محمد بن محمد بن أحمد الشريف المليتي المديوني، **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، دراسة وتح: عبد القادر بوباية، ط1، الجزائر: مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 2011م.
16. المقري، أحمد، **إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة**، راجعه وعلق عليه: أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري، د.ط، الجزائر: دار الفكر.
17. الميلي، مبارك، **رسالة الشرك ومظاهره**، الجزائر: شركة الشّهاب.
18. نويهض، عادل، **معجم أعلام الجز ائر**، ط2، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، 1980م.

المقالات:

1. العمري، مرزوق، **أبو مدين الغوث ورسالته في العقيدة الشهيرة بـ «عقيدة سيدي أبي مدين»**، مجلة الإبانة، العدد الرابع، 2017م.

2. العمري، مرزوق، **الأشعرية في الجزائر: تاريخ وأعلام**، ضمن أعمال الملتقى الدولي: «الشيخ محمد العربي بن التباني: أصالة الفكر الأشعري وأثره على التماسك الاجتماعي»، صدر عن المجلس الإسلامي الأعلى،5-6 ديسمبر 2018م، الجزائر.

3. العمري، مرزوق، **الأشعرية عامل أمن فكري وثقافي**، ضمن أعمال الملتقى الدولي الثالث «الشيخ ابن التباني والمدرسة الأشعرية في العقائد»، صدر عن المجلس الإسلامي الأعلى، 12 ديسمبر 2021م، جامعة محمد البشير الإبراهيمي –ولاية برج بوعريريج- الجزائر.

4. مقابلة مع مزوق العمري، بتاريخ15-01-2023، السادسة مساء.